ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:05، العدد: 02 (2021)، ص128-142

صناعة الفخار في بلاد المغارب خلال العصر القديم

The pottery industry in the Maghreb during the ancient era

حفيظة لعياضي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)
hafidha.laidhi@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/10/09
تاريخ القبول:
2021/11/07

الكلمات المفتاحية:

- ✓ الفخار
- ✓ العصر القديم
- ✓ بلاد المغارب
- ✓ روما

الملخص:

يعتبر الفخار إرثا حِرفيا ومقومًا من مقومات الهوية الثقافية في كل أرياف بلاد المغارب من خلال استمراريته منذ ما قبل التاريخ وإلى الوقت الحاضر. ذلك أن الانسان قد توصل منذ العصر الحجري الحديث لأول مرة إلى ابتكار الفخار الذي يعد وثيقة مادية مهمة في مجال تاريخ التقنيات وأنماط الحياة. ونهدف في هذا الموضوع إلى معرفة ماهية الصناعة الفخارية وبداياتها في بلاد المغرب القديم وأنواعها، ومن ثم أهم مراكز صناعتها وتطورها بالمنطقة خلال العصر القديم، وعن أصالته أو مدى وجود لمسة أجنبية في صناعته. وإذا كانت الأواني الفخارية قد صنفت إلى أربع مجموعات، منها أواني الطهي، الشرب، الأكل وأواني التخزين، فإن هذا التصنيف وتأريخ الفخار يستنتج من خلاله أن بلاد المغارب خلال العصر القديم قد أصبحت تنتج خزفها الخاص منذ القرن الأول ميلادي، وبدأ تصديره بعد ذلك إلى روما في عهد الاحتلال الروماني، وهذا ما جعل الفخار الافريقي أكثر رواجا منذ القرن الثاني للميلاد.

Article info

Received:
09/10/2021
Accepted:
07/11/2021

Key words:

- ✓ Pottery
- ✓ ancient era
- ✓ Maghreb
- ✓ Rome

Abstract :

Pottery is considered a literal and established heritage of the cultural identity in all the countryside of the Maghreb, through its continuity from prehistory to the present. That is because man has reached since the Neolithic period for the first time to invent pottery, which is an important material document in the field of history of technologies and lifestyles. In this topic, we aim to find out what the pottery industry is and its beginnings in the ancient Maghreb and its types, and then the most important centers of its industry and development in the region during the ancient era, and about its originality or the extent of the presence of a foreign touch in its manufacture. If the clay pots were classified into four groups, including utensils for cooking, drinking, eating and storing utensils, then this classification and the History of pottery concludes from which the countries of the Maghreb during the ancient era have produced their own ceramics since the first century AD, and it began to be exported after that to Rome during the era of the Roman occupation, and this is what made African pottery more popular since the second century AD.

صناعة الفخار في بلاد المغارب خلال العصر القديم

مقدمة

يعتبر الفخار من أقدم الحرف والصناعات التي مارسها الانسان في مختلف أنحاء العالم منذ ما قبل التاريخ وإلى يومنا الحاضر، حيث استمرت استعمالاته الواسعة كمنتجات نفعية وظيفية، أو تزيينية جمالية. وإذا كان الفخار يختزن ذاكرة وتاريخ المجتمعات التي انتجته، ويعكس قيمها الثقافية وكذا سلوكياتها وإبداعاتها الفردية والجماعية، حيث يعتبر سجلا لطبائعها وتقاليدها ومعتقداتها، فيمثل بذلك شاهد عيان على التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للشعوب، فإننا نريد من خلال هذا الموضوع معالجة إشكالية **ماهية وأصول هذه الحرفة في بلاد المغارب خلال العصر القديم؟ ومن ثم أنواعها وتطورها بالمنطقة؟** لذلك سنحاول أن نبرز من خلال هذا الموضوع مدى أهمية الحفاظ على صناعة الفخار في هذه البلاد المغاربية، والذي يمثل حفاظا على الذاكرة البشرية الحية عبر الأجيال وإعطاء دفع للتنمية الثقافية بها، وذلك من خلال توضيح ماهية هذه الصناعة، ثم معرفة أصولها وبدايتها بالبلاد المغاربية، وكذا تتبع أنواعها وخصائصها خلال العصر القديم، لنصل في الأخير إلى معرفة أهم مراكز صناعتها وتطورها.

1. ماهية الصناعة الفخارية في بلاد المغار

قبل البحث عن أصول وتطور الصناعة الفخارية في بلاد المغارب، سنتطرق لتعريف هذه الصناعة وبدايتها في العالم القديم عموما، ومن ثم طرق صناعتها في المنطقة موضوع الدراسة خصوصا.

1.1. بداية صناعة الفخار في العالم

يمثل الفخار تلك المنتجات التي يستعمل الطين كمادة أولية في صناعتها، حيث تعرض للتجفيف بعد تشكيلها ثم تشوى بالنار حتى تكتسب المادة الأولية خصائص طبيعية وكيميائية جديدة، كتغير اللون وزيادة صلابتها، وكذا اكتساب الرنين، إلى جانب استحالة الاعادة إلى حالتها الأولية[1]. فقد ظهرت حاجة الانسان إلى الأوعية والأواني منذ وقت طويل، وقد تطورت هذه الحاجة عندما أصبح يخزن الطعام الفائض عن وجبته بعدما أصبح ينتج غذاءه في مرحلة الزراعة وتربية الحيوانات اللبونة خلال النيوليتي. وقد تكون بداية هذا الإجراء من خلال تبطين السلال وتجفيفها. حيث أن ما يشير إلى هذا الاحتمال تلك الزخارف الموقعة على ظهر الأواني، فهي تشبه نسيج السلال، بحيث تبدو وكأنها طُبعت على سطح الإناء وهو لازال طريا، ثم تمّ صنع تلك الأواني منفصلة عن السلال وزخرفتها بأشكال مشابهة لنسيج السلال، ثم اهتدى صانعها فيما بعد إلى أن الطين المحروق أكثر صلابة ومتانة من الطين النيء، فاتجه إلى شيّ الأواني. وقد عُثر على شواهد أقدم تلك الأواني في مواقع حضارات العصر الحجري الحديث عبر العالم. ولأن الفخار يمتاز بمقاومته لعوامل التحلل والتلف، إضافة إلى كونه ظل مستعملا منذ النيوليتي وإلى الوقت الحاضر، وهو في نفس الوقت سهل الانكسار، وبالتالي تكثر شقفه في المواقع الأثرية، فإنه قد أصبح عنصرا هاما من عناصر علم الآثار، لا غنى للأثريين عنه، وهذا في مختلف تعاملهم مع الموقع الأثري[2].

2.1. طرق صناعة الفخار

وقد عكست طريقة صنع الفخار هذه الأهمية التي نالها الفخار على مر حقب التاريخ، حيث أن فخار بلاد المغارب سواء قديما كان أو حديثا، قد تم صُنعه بطريقتين مختلفتين: إما باليد أو بعجلة الفخار، وأن هذه الطرق لم تتلق تغييرا كبيرا منذ تلك الفترة[3]. وعلى هذا الأساس يصنف الفخار من الناحية التقنية إلى نوعين: فخار مقولب يدويا، وفخار آلي مشكّل بواسطة عجلة الخزاف، حيث أن الفخار المغاربي ينتمي إلى التقنية الأولى أي أنه مملّس، وهي التقنية التي لا تزال متبعة حتى الآن عند صانعات الفخار الريفيات في كل بلاد المغارب[4]. فصناعة الفخار المغاربي التي لا يمكن أن تزدهر إلا عند السكان المستقرين، هي صناعة يزاولها بعض النساء العاملات في الريف، وليس كل النساء، ذلك أنها ستفيض عن الاحتياج ، فقد تعلمن هذه الطريقة ويشتغلن بها عندما تدعو الحاجة لأهل القرية دون أن يكون الفخار حرفة لهن في الواقع، ودون البحث عن زيادة أرباحهن بالبيع لغير أهل القرية، وأن هذا الفخار اليدوي النسوي يتميز عن الفخار الذي يصنعه الرجال في الورشات مستخدمين العجلة والفرن في ذلك، يتميز عنه بكون الأوعية تتشكل باليد وتُشوى بنار عادية، ومنها ما يُكتفى بتجفيفها بالشمس فحسب. وكلها طرق بدائية تدل على تقاليد عريقة تم الحفاظ عليها على الرغم من الخلل في المنتجات السريعة الانكسار، والتي لا تحتفظ بالسوائل بشكل جيد[5].

وقد وصف بعض الباحثين صناعة الفخار اليدوي لدى النساء الريفيات ببلاد المغارب بأن القطعة الفخارية توضع بواسطة كتلة من الطين تشكلها المرأة بالإبهام، وقد حُفرت هذه الكتلة في نفس الوقت الذي رُسمت فيه جدران الوعاء الفخاري الذي سيتم الحصول عليه، ولإظهارها تجعل المرأة لفات من الطين على محيط الوعاء وتقوم بتسطيحهم وتلحّمهم في الأجزاء الداخلية للآنية الفخارية، وتتابع هذه الأشرطة أو اللفافات الطينية حتى تكمل الوعاء. والجدير بالذكر أنه إذا كان هذا الوعاء ذو اتساعات كبيرة، فإنه من الضروري ترك الأجزاء الداخلية تجف قبل وضع اللفافات (العصابات) الطينية حتى نتجنب تشويه الطين الرطب تحت ضغط المناطق الخارجية. وتُلمّس الجدران لاحقا بواسطة لوح خشبي أو بواسطة حصاة، حيث أن هذا الإجراء الذي يكون أحيانا على الجدار الداخلي يضمن مقاومة الآنية الفخارية للماء[6].

هذا عن المرحلة الأولى من صنع الآنية الفخارية، أما المرحلة الثانية فهي عملية شيّ هذا الطين وتجفيفه التي تتم بطرق متعددة حسب تنوع مناطق بلاد المغارب، ولكن في الغالب توضع الآنية الفخارية تحت كومة من الخشب وتُشعل النار في هذه الكومة، حيث يتم تغذية هذا المخزن الصغير من الحطب لمدة نصف ساعة، ونتيجة لذلك نجد الفخار يُشوى بشكل رديء، لأن الطين يتعرض للهواء، وللإنقاص من حدة هذا الاتصال بالهواء تقوم النساء في بعض المناطق برفع دائرة من الحجارة حول الموقد المتمثل في كومة الخشب، حيث أن هذا الإجراء يكفي لحمايته من الرياح على غرار ما نجده في ريف بونة مثلا **(Bône)**، كما تُتخذ هذه الاحتياطات كذلك في تونس[7].

هذا عن الطريقة الأولى في صنع الفخار، وهي الطريقة اليدوية، أما الطريقة الثانية فيتم فيها استخدام الدولاب في تشكيل الأواني، والفرن في تجفيفها، وهي الطريقة التي يشتغل بها الرجال في الورشات [8]، حيث اهتدى صُناع الفخار إلى فكرة تدوير قاعدة الإناء بدل أن يدور الصانع به، ومنه كانت عجلة الفخار التي يرجح ظهورها في بلاد الرافدين ومصر منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، فأصبحت بعدها صناعة الفخار مهنة حرفية ومنتوجاتها بضاعة تجارية [9].

وإذا جئنا إلى تتبع هذه الطريقة في بلاد المغارب فإننا نجد بأن العجلة كانت منذ القديم ولازالت مستعملة عند خزّافي (فخاري) جربة، نابل، تونس العاصمة، وغيرها من مناطق هذه البلاد، حيث يجلس الصانع على لوحة نجدها أسفل الصينية (العلبة) التي ستشكل الفخار، وتوجد على مستوى الأرجل صينية (علبة) داخلية، وتجتمع الصينيتان (العلبتان) في المركز بواسطة محور مركزي، حيث يتم إنشاء الحركة لهما بواسطة أرجل الخزّاف.

أما عن تجفيف هذه الآنية الفخارية وشيّها، فيتم في أفران مخصصة لهذا الاستعمال، فأفران الخزّافين (الفخارين) ذات صنع بدائي جدا في بلاد المغارب، ندخل اليها عن طريق فتحات مبنية تنتهي جدرانها بواسطة جرّات متحدة فيما بينها عن طريق هاون (un mortier) من الجير والطين، حيث صُممت هذه الوضعية بهدف تبريد الفرن عن طريق إقحام طبقة من الهواء الساخن بين الموقد والجدار الخارجي. ونفس هذه الوضعية نجدها تحت التربة محفورة كذلك، وأما الموقد فنجده مغطى من الخارج بطبقة من الطين لها شكل جرة. والجدير بالذكر أن فرنا واحدا من هذه الأفران يمكنه أن يحتوي حوالي 150 جرة كبيرة، فعندما تنتهي عملية الشيّ (التجفيف)، تُستخرج هذه الجرات بعضها رمادي اللون، والبعض الآخر بلون أحمر، حسب درجة تعرضها للنيران [10].

2. أصول صناعة الفخار وبدايته في بلاد المغارب

عند بحثنا عن تاريخ لصناعة الفخار المغاربي، فإننا نجد الأثريين يعتمدون في ذلك على اللقى الفخارية والشُقف المعثور عليها في المدافن بالدرجة الأولى، إذ تعد دراسة الفخار احدى السمات الهامة في تشكيل الطقوس الجنائزية خاصة، لكونها تتميز بأنواع وأشكال متكررة عبر القرون والتي تواصلت إلى وقتنا الحاضر، لكنها مع هذا تطرح إشكالا كبيرا في تاريخها، إذ تُعتبر معظم قطع الفخار التي جُمعت في مدافن فجر التاريخ غير مؤرخة، ذلك أنه قد أُعيد استعمالها مرات عدة، إضافة إلى أنه قد صُنع بنفس التقنيات في العهدين الروماني والإسلامي. ورغم استعمال المناهج العلمية وتقنيات التأريخ الحديثة إلا أنه يصعب تأريخه من جهة، وتحديد تأريخ أول ظهور له بدقة في بلاد المغارب من جهة ثانية [11].

لكن الفائدة التي تعكسها لنا دراسة الفخار في تلك المقابر أكثر هي معرفة خصائصها وما إن كانت أصيلة أم خاضعة لتأثيرات أجنبية. فالأوعية الطينية التي ظهرت مثلا قبل حتى ظهور المدافن الكبرى الموافقة لفجر التاريخ، ونقصد بها خلال النيوليتي، وُجدت بقاياها المكتشفة خاصة في المغارات مزينة برسومات

بواسطة شقوق، وهي تمثل خطوطا أفقية إما متوازية وإما نصف دائرية مبتكرة بذلك لرسوم بدائية جدا. وليست تلك الخطوط مستقيمة دائما، فالتنقيبات التي قام بها "**Bertholon**" و"**Chantre**" كشفت في مغارات الصخرة الكبيرة مثلا قرب الجزائر العاصمة عن شُقف فخارية خشنة مزينة بخطوط مموجة، إضافة إلى ما وُجد في "**علي باشا**" قرب بجاية بالجزائر كذلك من بقايا فخار رقيقة من الطين، مزينة بخطوط متحدة المركز[12].

هذا عن الفخار العائد لأولى مراحله، وهي فترة النيوليتي، أما الفخار المكتشف بالقبور الميغاليتية العائدة لفترة فجر التاريخ ببلاد المغرب، فإنه وعلى ضوء المكتشفات المختلفة في هذه القبور مثل ما نشره "**Faidherbe**" من الأنواع الرئيسية التي وُجدت في دولمن الركنية على المنحدر الغربي لجبل دباغ قرب قالمة، التي وُجدت فيها أوعية فخارية أكثر من الجماجم الموضوعة بجوارها[13]، وما وجده "**Bourguinat**" في نفس هذا الموقع[14]، وكذا ما نشره "**Chabassière**" من فخاريات مكتشفة في دولمن الفرطاس الواقع على حوالي 35 كم من جنوب–شرق قسنطينة [15]، وكذا ما وجده "**Dr. Carton**" من فخاريات دولمن طبرسقة (**Teboursouk**) و"**Bulla-Regia**"[16]، فقد سمحت كل هذه التنقيبات بعقد نقاط مقارنة بين مختلف الفخاريات المكتشفة داخل هذه القبور واستنتاج أن الفخار العائد إلى القبائل التي شيّدت هذه القبور قد صُنع باليد، وأن معظم مزهرياتها ذات لون رمادي، أحمر أو بني، وأننا نجد من بين الأنواع الأصلية أطباقا كبيرة وأطباقا أخرى خلفيتها نصف كروية في غالب الأحيان، حيث اُستخدمت بعض تلك المزهريات لحفظ السوائل، وهو ما جعل " **Bertholon**" و"**Chantre**" يعتقدان بأنها مستوردة، لأن هذه المزهريات المخصصة للسوائل لها نفس الأشكال ونفس التقنيات مثلما لتلكم العائدة للفترة الرومانية[17]، وهذا ما عاينه "**Feraud**" عند فحصه للمعالم ذات الأصل السلتي ببلاد المغارب في عدة نقاط من الجزائر، فكل الأثاث الجنائزي الذي دفن مع الموتى لاستخدامه في العالم الآخر، عبارة عن مزهريات فخارية كانت تستخدم لحفظ الماء أو الحليب أو أي سائل آخر[18].

هذا عن القبور الميغاليتية العائدة لفجر التاريخ، أما عن أهم مواقع الفخار المزخرف خصوصا، والعائد للفترة اللاحقة من العصر القديم، فيمكن تقسيم المواقع التي عثر فيها على هذا الفخار إلى قسمين، أحدهما هو المواقع المؤرخة إلى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثاني قبل الميلاد، مثلما تعكسه مواقع بونوارة التي عثر فيها على إناء بحافة حمراء، وكذا قوراية (بجاية) التي عثر بها على إناء بزخارف معقدة، ولمتة (**Leptis**) التي عثر بها على قدح بطلاء أحمر، والشلف التي وجدت بها شُقف فخارية حمراء. أما القسم الثاني فهو مواقع تعود إلى القرن الثاني والأول قبل الميلاد، مثلما هو الحال بقسنطينة التي عثر فيها على إناء بزخرفة معقدة وعدة شُقف مزخرفة كذلك، وكذا تيديس التي وجد بها 15 إناء بزخارف معقدة، وموقع سيلا (**Sila**) الذي وجدت به آنية بحاشية ملونة[19]، وغيرها من المواقع المؤرخة لنفس الفترة.

وفي حديثه عن الفخار المغاربي ذو اللون الرمادي أو الأسمر أو الأسود، يشير قزال إلى لمسات أجنبية في تقنية صناعته وأشكاله في بعض تلك المدافن التي أشرنا اليها، منها مغراوة بوسط تونس، وفي الركنية قرب

قالمة، وقسطل (Gastel) قرب تبسة التي نلمس فيها تقليدا للأواني الأجنبية: البونيقية والإغريقية التي تكون قد أدخلتها التجارة إلى المنطقة[20]. ولعل ما أثار نقاشا واسعا بين الباحثين في أصول الفخار المغاربي المعثور عليه في كل أرجاء هذه البلاد، هو الزخرفة الموجودة على الأواني المتمثلة في الرسوم الهندسية التي يمتاز بها الفخار المغاربي القديم والحديث، إذ تدور اهتمامات الباحثين في ثلاث مراكز متوسطية يمكن أن تكون مولدا للرسوم الهندسية على الفخار، وهي جزيرة قبرص، وجزير كريت، ومدينة ميكيني ببلاد اليونان، حيث كانت إحدى هذه المواطن منبتا لهذا الزخرف، ثم انتشرت أساليبه وتطورت عبر مراكز صناعة الفخار في بلدان حوض البحر المتوسط، ومنها شمال إفريقيا. غير أن الملاحظ في تلك الزخارف الهندسية على الفخار المغاربي القديم هو كونها تقترب كثيرا من مثيلاتها في زخارف فخار صقلية وشبه جزية ايبيريا، ويبدو أن هذه التأثيرات بين الشمال الإفريقي والجزر المتوسطية قد تمت عن طريق الهجرات أو أغلب الظن عن طريق التجار الفينيقيين الأوائل أو عن طريق منافسيهم من الإغريق، سيما وأن الفخار الهندسي المزخرف لم يعم مراكز صناعة الفخار سوى ابتداءً من الربع الأخير من الألف الثانية قبل الميلاد، وهي مرحلة تاريخية تتزامن والحركة التجارية عبر البحر المتوسط، سواءً عن طريق التجار الكريتيين الذين احتكروا التجارة في الحوض الشرقي للمتوسط إلى غاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أو بواسطة البحارة الفينيقيين[21]. وما يدعم لفكرة وصول هذه الاقتباسات أكثر هو الفخار البونيقي الواضح المعالم والمتميز عن الفخار المغاربي القديم، والذي أمكن له أن يكون واسطة في تلك الاقتباسات، وذلك في الأمفورات المألوفة النوع، وفي القُلل العريضة البطون بمقابض السلال، والتي لها قوائم تتكون من بوقين صغيرين متقابلين [22].

وإذا جئنا إلى تتبع تلك التأثيرات في أحد المواقع المغاربية، يمكننا أن نستشهد بفخار بناصا بالمغرب الأقصى المصبوغ الذي يمكن أن نميز فيه بين أشكال تظهر فيها تأثيرات إغريقية مؤرخة إلى حوالي القرن السادس قبل الميلاد، وأخرى ذات تأثير ايبيري يعكسه عدد من الأقداح والجرات، إضافة إلى التأثير البوني الذي تجسده أقداح ذات عروات وُجد فيها تشابه مع الأقداح القرطاجية العائدة إلى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، وعدة قطع من قناديل ذات عنق واحد وُجدت في المستوى الثالث من حفريات بناصا والتي أُرّخ لها بالفترة الواقعة بين القرن الخامس والثالث قبل الميلاد. ورغم أن هذه الدلائل توضح بأن صانعي الفخار في بناصا قد تعرضوا لتأثيرات خارجية إغريقية وفينيقية، أو حتى ايبيرية، فإن ما يعكسه فخار بناصا هو أصالته التي تجسدها الزخرفة التي يحتوي عليها[23].

إن هذا التشابه الموجود بين الأواني الفخارية المغاربية والإغريقية أو غيره من الفخار المتوسطي، لا يجب أن يأخذنا إلى القول بالتقليد المباشر والاقتباس منه، ولا يجب اعتباره أكثر من صدفة، وأن الزخرفة المغاربية وليدة المنطقة التي تعكسها بساطة الزخارف التي يمكن أن تبدع في مناطق مختلفة من المعمورة في نفس الوقت، أو في فترات مختلفة [24]. فهذه المشابهات لا تستلزم القرابة في النسب بين الفخاريْن، إذ يؤكد ذلك قزال بقوله أن فخاريات شمال إفريقيا تشبه إلى حد كبير الفخاريات التي كان يصنعها الهنود في البيرو قبل

اكتشاف أمريكا، وليس بالإمكان قبول وجود تأثيرات بين هاتين المنطقتين، وعلى هذا فلعل الفخار المغاربي القديم قد ولد بأرض المغارب نفسها، والأمثلة التي تشهد بذلك هي المقارنة بين الآنية الملونة الحديثة وبين بعض الفخاريات التي صنعت بالمنطقة في العصور الوسطى أو القديمة، فقرابة النسب مؤكدة في بعض ما عثر عليه بقسنطينة في الطبقات المشتملة على أشياء صنعت قبل العهد الميلادي أو بعده بقليل، وهذا ما يؤكد بأن الفخار المغاربي المصبوغ أو غير المصبوغ يحافظ بإصرار على عادات قديمة جدا، رغم أنه لا يرفض رفضا قاطعا المؤثرات الأجنبية[25] .

فالفن الريفي المغاربي المعاصر لم يخضع لتأثيرات ملحوظة من كل الشعوب التي تعاقبت على شمال إفريقيا سواء في الفخار أو الأقمشة أو النقش على الخشب. فقد أكدت الأبحاث الأثرية أن الفخار المغاربي الذي يصنع حاليا في بلدان المغرب في قوالب، وُجد على حالته هذه في شمال إفريقيا من غير تحويرات مورفولوجية منذ أواخر النيوليتي، وأنه استمر في العصور القديمة، وهو أصل الفخار المغاربي الحالي، ويمكننا أن نرى ما يمنع أولئك الذين زينوا الرسوم الصخرية من زخرفة أطراف أوانيهم، بينما كان أسلافهم القفصيون قد زخرفوا بالطلايا الحمراء أدواتهم وأسلحتهم[26] .

3. أنواع الصناعة الفخارية وخصائصها

تميز الفخار المغاربي –على غرار فخار العالم القديم– بتنوعه واختلافه من ناحية النوع والخصائص التي تميز كل منها، وهذا ما سنلمسه في النقاط التالية:

1.3. أنواع صناعة الفخار

يمكننا أن نقسم أنواع الفخار في بلا المغارب خلال العصر القديم من حيث الاستعمال ومن حيث اللون. فأما التقسيم الأول فإننا نجد فيه كومس يصنف الفخاريات المستخرجة من المعالم الجنائزية إلى أنماط مختلفة موجهة لأغراض عديدة، وقد تم صنعها كلها وشيّها (تجفيفها) لتوضع في المدافن. وتضم فخار نذري ليس له غير أهميته الدينية، وفخار عائلي موجه لمختلف الاستعمالات، مثل الأقداح الكثيرة العدد التي أُعتبرت من الجفان، والتي تضم نوعا ذو شكل انسيابي، حيث تعتبر آنية المائدة الأساسية المعدة لطعام مهروس يتم تناوله بملعقة خشبية. إذ لا تزال الأقداح والجفان تكوّن وحدة أساسية في آنية المائدة القبائلية والمغربية والتونسية إلى اليوم[27].

وإذا حاولنا التعرف على الآنية الفخارية الموجهة للاستعمال العائلي والتي استخدمها النوميد أو المور خلال العصر القديم، يمكننا تصنيفها إلى أربع مجموعات، وتتمثل في: أواني الطهي، أواني الأكل، أواني الشرب وأواني التخزين. ومن ضمن أواني المجموعة الأولى يمكننا إدراج أنواع القدور المختلفة والجفان، إضافة إلى الطاجين والكسكاس. بينما نصنف ضمن المجموعة الثانية أنواعا مختلفة من الصحون تختلف من حيث العمق والشكل، أشهرها المثرد. ونجد في المجموعة الثالثة أنواع الفناجين والأقداح والأباريق والكؤوس، وفي المجموعة الرابعة نجد الجرار المتنوعة الأشكال والأحجام[28].

هذا عن التقسيم الأول الخاص بالاستعمال، أما التقسيم الثاني للفخار فيخص اللون، حيث يصنف فيه الفخار من حيث الدهن إلى مصبوغ وغير مصبوغ، وحيث أن الألوان مرتبطة بالزخارف، ومن ثم يمكن تقسيم الفخار من حيث طبيعة الزخارف إلى مزخرف بالألوان وفخار مزخرف بدون ألوان، أي بواسطة تحزيزات وتشكيلات ناتئة أو غائرة، وهو ما يتصف به الفخار المغاربي عموما[29]. حيث يدخل في هذا الصنف الأواني الفخارية كالقدور والصحاف والصحون والأقداح والكؤوس ذات المقابض أو بدونها، والقناديل وغيرها، مظهرها ذو لون ضارب إلى الرمادي أو الأسمر أو الأسود، وهي بقية من الآنية التي تم العثور على شُقفها في مواقع النيوليتي، لكن هذه الشُقف غالبا ما تكون عليها زخارف هندسية بدائية منقوشة برأس حاد، غير أن ذلك يعد ترفا –حسب قزال– وقع التخلي عنه في العصر التاريخي ويكتفي بصقل جوانبها. وقد زودتنا بعض المقابر بالشمال الإفريقي، والعائدة إلى القرون الأخيرة قبل الميلاد، بكثير من هذه الأوعية الخشنة وهي تشبه الأواني التي بقيت تصنعها بعض النساء في الريف المغاربي إلى وقت قريب، أما الأشكال فهي بالغة البساطة في معظمها[30].

وأما النوع الثاني الذي يتكون من فخار مصبوغ، فإننا نجد صنعه أتقن من سابقه الذي يمكن تقسيمه حسب مصدره إلى عدة مجموعات يسهل التمييز بينها إلا أنها تملك خصائص مشتركة، مثل كونها تصنع في الريف بأيدي النساء من غير عجلة ولا فرن، والزخرف ملون بالأسود أو بالأسمر وبإضافة اللون الأحمر غالبا على السطح الذي يصقل بحجر منبسط أو بملاّسة من خشب، ويُطلى في الغالب بطلية ناعمة جدا من الطين الأصفر الباهت، حيث أن الهدف منه هو إعطاء مناعة للتربة المسامية وتحسين مظهرها[31]. وأما زخرفتها فهي عبارة عن أشكال هندسية مستقيمة الأضلاع[32].

2.3. خصائص صناعة الفخار

إن ما نلاحظه بالنسبة للخصائص التي امتاز بها الفخار المغاربي، وتبعا لأشكاله ومقاييس أبعاد أوانيه، من حيث الاستدارة والعمق والارتفاع والعرض، أنه يندرج ضمن 12 مجموعة تقريبا، أهمها ما يأخذ شكل القصاع والجفان، والأواني ذات السطح المحدب، وتلك التي تملك شكلا انسيابيا، ومنها ما يأخذ شكل حرف "**س**" (S) باللاتينية، ثم الأواني البيضوية الشكل. حيث يمكن استخراج معلومات قيمة من دراسة هذه الأواني الفخارية وظيفيا، كأنماط معيشة السكان وأنشطتهم الاقتصادية من خلال تحليل هذه الأواني عمليا إلى فخار حضري استخدمه المدنيون، وفخار ريفي استخدمه المزارعون والرعاة. فأوجه الاختلاف لا تتمثل في الأشكال والأحجام فقط، بل حتى تقنية صناعة الأواني وكذا في المسحة الجمالية التي يكتسيها هذا الفخار أو ذاك[33].

إذ يمكننا أن نعاين في بعض الأمثلة من مختلف مناطق بلاد المغارب هذه الخصائص في كل من قسطل، تيديس وبناصا.

1.2.3. فخار قسطل (غاستيل/ Gastel)

يتواجد في جبل "**دير**" **(Dyr)** شمال تبسة التي تؤرخ للقرن الثالث قبل الميلاد، فهي مدينة تضم أحد فروع قبائل الموسولام، حيث تبيّن من فخارهم ذو القاع المسطح بأنهم لم يكونوا رحل، وأن أشكال الفخار المعثور عليه بقسطل مشابهة كليا للأواني الفخارية الخاصة بالفلاحين المعاصرين حسب رأي كامبس، وأن بعض فخاريات هذا الموقع اليدوية تبدو في الظاهر نسخة مزهرية من أصل بوني أو إغريقي، وأن الفائدة من هذه الأطباق المعثور عليها والمزهريات ذات شكل كأس البيضة هو كونها ملونة، وبعضها يحوي زخرفة متعددة الألوان، بلون أحمر وأسود[34] وبأشرطة، تظهر الزخرفة المتشابكة عليها وعلى الصحون، بينما الزخرفة البسيطة المتمثلة في الشريط، فإنها تشغل كل الأواني الفخارية بدون تمييز[35]. ففخار قسطل صنفه كامبس في مجمله إلى ثلاثة أنواع كلها فخار مصبوغ، وهي: مزهريات منحنية أو مترابطة مع طلاء كلي أحمر ذو نوعية رديئة، وجرات عديدة ومزهريات تحمل تحت الحفرة شريط أحمر نجده ممتد أحيانا، وأخيرا بعض الأطباق وكل أكواب إناء كأس البيضة[36] التي ذكرناها.

2.2.3. فخار تيديس (Tiddis)

تمثل الأواني الفخارية المصبوغة لتيديس أهمية كبيرة، حيث عثر عليها في بازينة **(Bazina)** مؤرّخة ما بين الفترتين 250 ق.م إلى 110 ق.م. والملاحظ هو أن أحد مزهرياتها تحمل ثلاثة أحرف ليبية مرسومة على الجناح المنحني[37]، وليست هذه الرموز الوحيدة في فخار تيديس، فقد احتوى الفخار النوميدي عامة على توقعات لا تزال غامضة وصعبة التفسير، غير أن ما وجد من رموز في فخار تيديس هو العلامة "**س**" على غرار ما تحمله أواني سيلا **(Sila)**. وقد فسر بعضهم هذه العلامات على أنها تعني الملكية، أي تدل على صاحب الأواني، إذ ربما ترمز لاسمه باختصار، كما فسر بعضهم ذلك على أنه علامة طراز مصنع الفخار أو صاحبه، لكن هذه العلامات توجد على الفخار العادي لا على الفخار التجاري، مما يُضعف هذا التفسير. وقد تدل هذه الرموز على معاني دينية جنائزية سيما وأن المغاربة كانوا يعتقدون بالحياة الأخرى[38]. هذا من ناحية الرموز التي وُجدت في فخار تيديس، ومن جهة أخرى لاحظ كامبس وجود أواني فخارية أخرى مزخرفة بأسلوب هندسي مثلثي مطابق للأشكال الهندسية المثلثية في الفخار القبائلي اليوم بالجزائر. فهذه الزخرفة التي تحتوي مثلثات مربعة أو مزخرفة بشكل مختلف تحتوي كذلك زخارف تصويرية كالنباتات المتمثلة في سعف النخيل، الطيور ونجم الشمس، إضافة إلى تمثيلات بشرية، إذ يبدو أن زخرفة هذه المزهريات بتيديس كانت الرغبة واضحة فيها لتمثيل الطبيعة في هذه العناصر المختلفة. وقد فسر كامبس المثلثات بأنها ترمز للجبال، أي الأرض، قاعدتها ترتكز على شريط متعرج أو معين ممدود يمكن من خلاله معرفة أنه يمثل عنصر الماء الجاري. ففخاريات تيديس تشمل عناصر الطبيعة الأربعة وهي: الماء، الأرض، النار والهواء، والمخلوقات التي تشغلها من مملكة الحيوان أو النبات. وبما أن هذه المزهريات وظيفتها جنائزية، فإن هذه الزخرفة التي تحتويها ليست ذات قيمة رمزية فقط، بل هي كذلك موجهة لخصائص جنائزية[39].

3.2.3. فخار بناصا

كشفت الحفريات عن وجود فخار مصبوغ في المستويات ما قبل الرومانية، وهو دليل على أنه عائد لفترة المملكة المورية، وقد أكدت نتائج الحفريات بأنه من صنع محلي بذات المكان، بعدما ظل الاعتقاد سائدا لفترة طويلة بأنه فخار مستورد. وحيث أن أهم ما يميز الأشكال الزخرفية بهذا الفخار هو قلة تنوعها وكونها بلون واحد، كما أنها زخارف هندسية عبارة عن خطوط متوازية مصبوغة وأشرطة، كما أنها تضم خطوطا متقاطعة ترسم شكلا يشبه سعف النخيل، إضافة إلى زخارف لها شكل العوارض وأخرى زهرية.

ومن خلال هذا النوع الأخير من الزخارف في المستوى الأول واختفائه في المستويات العليا، أمكن اعتباره من أقدم النماذج في هذه الزخرفة، حيث أن ما يميز فخار بناصا الملون عامة هو بساطته التي يعكسها اللون الواحد واتساع الزخرفة على الإناء والذي ينحصر غالبا في مكان واحد[40].

لقد سمحت عديد الأواني الفخارية التي أُستخرجت من هذه المقابر وأخرى لم نذكرها، زيادة عن دورها في الطقوس الجنائزية، سمحت باقتفاء أثر عادات وتقاليد السكان مع الاختلاف الطفيف في أنماط الحياة، وهو ما يبين أن سكان المناطق الجبلية من بلاد المغارب عرفوا كيف يحتفظون بأقدم التقاليد المتوسطية.

4. أهم مراكز صناعة الفخار وتطورها

تميز الفخار الافريقي في القرون الميلادية الأولى، وهي الفترة المعاصرة للاحتلال الروماني للمنطقة بكونه مختوما "**Sigillé**"، حيث تغطي هذه التسمية المراحل الأخيرة من تطور صناعة الفخار في إفريقيا الرومانية، وتصعد بداية انتاجه إلى نهاية العصر الفلافي **(Flavienne)** نسبة إلى الإمبراطور **(Flavien)**، وتوافق المراحل الكبرى لتطوره مجموعات: **A**، **C**، و**D** [41]. ويتميز هذا الفخار المختوم بلونه الأحمر البرتقالي، حيث تُلوِّن عجينته بذلك اللون أو يُدهن به، وهو ما جعل الباحثين الإنجليز يطلقون عليه عبارة: **African Red Ware**. ولعل ما زاد من الطلب على هذا الفخار الإفريقي هو كونه مزخرفا. أما التصنيفات إلى مختوم"**A**" فهي تعني الفترة الموافقة من القرن الأول إلى القرن الثالث ميلادي، والمختوم "**C**" هو ذلك الفخار الذي كان يُصنّع في جهات القيروان (سيدي مرزوق) ما بين القرنين الثالث والرابع، وأما المختوم"**D**" فهو ما كان يُصنّع في جهة قرطاج ما بين القرنين الرابع والسابع.

ويمكننا أن نلاحظ من خلال تصنيف وتأريخ هذا الفخار بأن افريقيا قد أصبحت تنتج خزفها الخاص منذ القرن الأول، وفي عهد الفلافيين بدأ تصديره إلى روما، وخلال القرن الثاني أصبح الفخار الإفريقي هو الأكثر رواجا بحيث لا نكاد نجد في المواقع الأثرية الافريقية إلا القليل من الفخار الأجنبي المستورد من الشرق عن طريق روما[42]، بدليل أن افريقيا الرومانية لم يطرأ على توازنها التجاري أي تغيير خلال القرن الثاني للميلاد وبقيت تصدر المواد الأولية مثل الصوف والخشب والقمح والزيت، وأن ما كانت تصنعه هي تلك الجرار التي كانت توضع فيها هذه المواد لنقلها[43]. وقد تتابع إنتاج الفخار المختوم **(Sigillé claire)** بإفريقيا طيلة خمسة قرون، وذلك راجع إلى تنظيم انتاجه وانتشاره، حيث وصل هذا الفخار إلى عدة مناطق متوسطية بفضل التجارة

البحرية. وإذا كان هذا الإنتاج قد ازدهرت تجارته وانتاجه في الحوض الشرقي والغربي للبحر المتوسط خلال القرون الخمسة الميلادية الأولى، فإن التنقيبات الطبقية للشرق الأدنى قد أفادتنا بمعلومات مشيرة إلى غياب الفخار المختوم **(Sigillé claire)** المستورد من إفريقيا بين التواريخ التقريبية لسنوات 430 و530 م، حيث أن هذه الفترة هي الموافقة للاحتلال الوندالي بإفريقيا، ولذلك يبدو أن التجارة مع مناطق المتوسط الشرقي قد عانت انقطاع بسبب تراجع انتاج الفخار المختوم الناتج عن التقلبات السياسية والاجتماعية التي سبّبها الاحتلال الوندالي للمنطقة[44] .

إن ازدهار صناعة الفخار المختوم بشمال إفريقيا خلال القرون الميلادية الخمسة الأولى تعكسه عدة مراكز انتاج له خلال هذه الفترة، فقد كانت صناعة الخزف بأشكاله المتنوعة منتشرة في مختلف مدن المقاطعات الرومانية بإفريقيا، مثل موريطانيا القيصرية، أو نوميديا أو غيرها[45]. ولعل أهم مدينة لعبت دورا كبيرا في ذلك هو مدينة "**تيديس**" التي بالإضافة إلى دورها المحصّن الذي كان يضمن حماية الاقليم المحيط بالمدينة الرئيسية للكنفدرالية السيرتية، فإن تيديس اكتست مظهرا ثنائيا لنشاطها: دور تجاري وآخر ديني. حيث أن النشاط التجاري البارز هو صناعة الفخار، ويبدو أن فخاريي تيديس كانوا مسيحيين بدليل العلامات المنقوشة على بعض الأدوات والتي تمثلت أساسا في مصابيح بكل الأشكال والزخارف التي يعكس بعضها مواضيع أسطورية، وأدوات فخارية أخرى تمثل صورا ورموز مسيحية، وكذا تماثيل لخيول نذرية أو ألعاب أطفال. وإذا كنا نجهل أصل مزاولة هذا النشاط، فإن أولئك الفخاريين كانوا في البداية هم الليبيين مصممي الأواني الفخارية التي رسموها فيما بعد، ثم تحولوا إلى تيديسيين (نسبة إلى سكان تيديس) الذين صنعوا الفخار الجميل المختوم بعلامة حمراء مشرقة، حيث بدأوا في تقليد هذا الانتاج بعدما استوردوه من إيطاليا، أو من غالة، مع عدم إهمال اللمسة الأصلية للفخار المغاربي الذي تمتد جذوره إلى النيوليتي. فمثّلت تيديس بذلك أحد أهم مراكز الانتاج الإفريقي للفخار المختوم "**Sigillé D**" **(D** بلون أحمر برتقالي. وإن أولئك الفخارين الذين صنعوا آنياتهم على عهد الإمبراطورية المسيحية كانت لهم دون شك ورشات في الأحياء المنخفضة لتيديس، كما أن لأولئك الفخارين أفران خاصة للشيّ (للتجفيف) بجدران اضافية موزعة بقدَم التلة التيديسية في الجنوب الشرقي ومحمية من الرياح[46]. إذ تعتبر أفران تيديس أهم أفران شيّ الفخار النوميدي القديم، وقد اكتسب فخارها لمعانا معدنيا نتيجة الشيّ المتقن، فضلا عن صلابته التي ساعدته على مقاومة عوامل الفناء عبر الزمن، مما أكسب تيديس شهرة واسعة في مجال الصناعة الفخارية خلال العهد الروماني، والتي ورثتها من ماضيها العريق، وواصلت هذه الشهرة إلى العصر الاسلامي[47].

إلى جانب تيديس، نجد مركزا لا يقل أهمية عنها في انتاج الفخار وهو بناصا، وهذا ما تعكسه المعطيات التي تتوفر عليها حول صناعة الفخار بها منذ الفترة الموريطانية وحتى فترة الاحتلال الروماني، والتي تتمثل في عدد من الأفران وكذا بعض الصناعات المشوهة. فالحفريات التي عرفتها بناصا على عدد مهم من الأفران المبنية من اللبن **(Brique crue)** حيث أُكتشفت أربعة أفران في الحي الشمالي الشرقي لمدينة

بناصا على عمق 4م تحت المستوى الروماني. ومن بين الملاحظات التي يثيرها وجود هذا الفخار في المستويات التي حددها الباحثون في بناصا هو ندرة الواردات إلى جانب هذا الفخار، خاصة في المستويات الأولى، وهو ما يمكن اعتباره تحقيقا لاكتفاء ذاتي لساكنة بناصا في وقت لا تزال فيه بعيدة عن وجود استقرار جاليات أجنبية في الموقع[48].

والجدير بالذكر أن تيديس وبناصا ما هما إلا نموذجين عن المراكز الكبرى لإنتاج وتطور الفخار في بلاد المغارب خلال الفترة القديمة، وتبقى التنقيبات الأثرية تزودنا في كل مرة بدلائل جديدة عن مراكز أخرى قد لا تقل عنهما أهمية في الصناعة الفخارية.

خاتمة

يعتبر الفخار المغاربي من الحرف والصناعات المتجذرة في التاريخ بدليل بقاياها في مختلف المواقع الأثرية، وإن الظاهرة المميزة لهذا الفخار هو أنه يشترك مع فخار جميع العصور في الأشكال والألوان وفي عناصر الزخرفة، وهو ما جعله يمثل استمرارية تاريخية وتواصلا حضاريا مميزا لخصوصية ثقافية، وليس فقط عنصرا أثريا يساعد في التعرف على الأطوار التاريخية. لكن هذا التراث الفخاري المغاربي الأصيل قد أصبح مؤخرا عرضة للضياع والتراجع، وهو ما يهدد مجموعة من القيم التراثية الثقافية والفنية والجمالية بالانقراض، وجانبا من الذاكرة التقنية الأصيلة للمناطق المنتجة بالمحو. وإن هذا ما يتطلب تكاثفا لكل الجهود من أجل حمايته وإعادة بعثه وتشجيع صناعته في المناطق الريفية خاصة، باعتبارها أصلا لهذه الصناعة، من أجل تحقيق تنمية ثقافية مستدامة والمحافظة على ذاكرة وهوية بلاد المغارب.

ملاحق

الصورة 1: على اليمين (أ): جرة مستوردة من خارج بلاد المغارب
على اليسار (ب): مزهرية ايبيرية وجدت بمدينة بورتوس ماغنوس (بطيوة)

-أ-

-ب-

المصدر: **أ**: محمد البشير شنيتي، 2013، ص 97، **ب**: محمد بن عبد المؤمن، 2013، ص 184

الصورة 2: أواني كأس البيضة من موقع قسطل

المصدر: محمد البشير شنيتي، 2013، ص 97

الصورة 3: جرتان من تيديس، على اليمين (أ): مزخرفة برسوم في شكل طائر ، على اليسار (ب): زخارف مختلفة وخطوط منكسرة

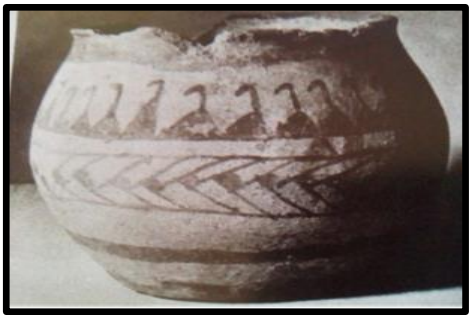

المصدر: محمد البشير شنيتي، 2013، ص 97

الصورة 4: فخار بناصا المصبوغ، على اليمين قطع تحمل زخرفة متنوعة، على اليسار: قدح ذو زخرفة مموجة

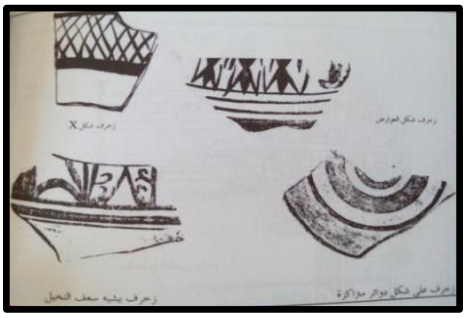

المصدر: سيدي محمد، العيوض، 2010، ص ص 292، 306

الصورة 5: فرن من بناصا

المصدر: سيدي محمد العيوض، 2010، ص 305.

الهوامش:

1 – علاش، صباح، (2011)، "**الفخار النسائي بالريف بين الأصالة والحماية قراءة أولية في تجربتين محليتين**"، أسيناك، ع6، المملكة المغربية، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ص37.

2 – شنيتي، محمد البشير، (2013)، **علم الآثار. تاريخه. مناهجه. مفرداته**، عين مليلة–الجزائر، دار الهدى، ص ص 90، 93.

3 -L. Bertholon, E. Chantre, (1913), **Recherches anthropologiques dans la Berbèrie orientale: Tripolitaine**. Tunisie. Algérie, Tome premier, Lyon, A. Rey. Imprimeur-Editeur, p 546.

4 – شنيتي، محمد البشير، (2013)، **الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة**، عين مليلة–الجزائر، دار الهدى، ص 96.

5 – قزال، ستيفان، (2007)، **تاريخ شمال افريقيا القديم**، ترجمة محمد التازي سعود، ج6، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية سلسلة تاريخ المغرب، ص 57.

6 - L. Bertholon, E. Chantre, Op. Cit, p. 546

7 - Ibid, p. 546

8 – حارش، محمد الهادي، (1984)، **التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203–46 ق.م**، الجزائر، دار هومة، ص 127.

9 – شنيتي، محمد البشير، **علم الآثار**، المرجع السابق، ص 91.

10 - L. Bertholon, E. Chantre, Op. Cit, p. 547

11 – ساحد، عزيز طارق، (2011)، **آثار فجر التاريخ في الجزائر**، دار المعرفة، الجزائر، ص 221.

12 - L. Bertholon, E. Chantre, Ibid, p. 542.

13 - Le Général Faidherbe, (1868), «**Recherches anthropologiques sur les tombeaux mégalithiques du Roknia**», **Bulletin de l'Académie d'Hippone**, N. 4, p. p. 19. 37

14 - M. J. R. Bourguinat, (1868), Histoire de monuments mégalithiques de Roknia, Paris, Challamel Ainé. Libraire-Editeur, , p. 10.

15 - M. J. Chabassière, (1886), «**Ruines et Dolmens du Djebel Fortas**», Recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, T. 24, p. 97.

16 - Dr. Carton, Année (1891), «**Tunisie. Les mégalithes de Bulla Regia. Les alignements de la plaine de la Medjerdah et les sépultures du Djebel Herrech** », **l'Anthropologie**, Tome seconde, , Paris, G. Masson. Editeur ,p. 13

17 - L. Bertholon, E. Chantre, Op. Cit, p. 543.

18 - M. L. Feraud, (1863), «**Monuments dit celtiques dans la province de Constantine»,** Recueil des notices et mémoire de la société archéologique de la province de Constantine, T. 6, Alger, Bastide. Libraire-Editeur, p. 219.

19 – حارش، محمد الهادي، المرجع السابق، ص 131.

20 – غزال، ستيفان، المرجع السابق، ص 58.

21 – شنيتي، محمد البشير، **الجزائر قراءة في جذور التاريخ**، المرجع السابق، ص ص 98، 99.

22 – غزال، ستيفان، المرجع السابق، ص 61.

23 – العيوض، سيدي محمد، (2010)، **موقع بناصا الأثري –من الأصول إلى الجلاء الروماني– مساهمة دراسة مدن المغرب القديم**، المملكة المغربية، مطبعة الرباط، ص 202–203.

24 – حارش، محمد الهادي، المرجع السابق، ص 129.

25 – قزال، ستيفان، المرجع السابق، ص ص 60، 61.

26 – حارش، محمد الهادي، المرجع السابق، ص 130.

27 – كامبس غابريال، (2010)، **في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ**، ترجمة وتحقيق محمد العربي عقون، الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ص ص 119، 120.

28 – حارش، محمد الهادي، المرجع السابق، ص 132.

29– شنيتي، محمد البشير، **الجزائر قراءة في جذور التاريخ**، المرجع السابق، ص 96.

30 – قزال، ستيفان، المرجع السابق، ص 58.

31 - H. Balfet, (1955), «**la potorie de Ait Smail du Djurdjura**», Revue Africaine, T. XCIX, p. 291

32 – غزال، ستيفان، المرجع السابق، ص 59.

33 – شنيتي، محمد البشير، **الجزائر قراءة في جذور التاريخ**، المرجع السابق، ص ص 98، 99.

34 - G. Camps, (2007), **Les Berbères mémoire et identité**, l'Algérie, éd. Barzakh, p. 236.

35 – ساحد، عزيز طارق، المرجع السابق، ص 224.

36 - G. Camps, Année 1997, «**le style de Gastel. Etude des céramiques d'une nécropole protohistorique d'Algérie**», Antiquité africaine, T. 33, p. 43

37 - G. Camps, Les Berbères mémoire et identité, p. 236

38 – شنيتي، محمد البشير، **الجزائر قراءة في جذور التاريخ**، المرجع السابق، ص 98.

39 -G. Camps, Op. Cit, p. 237.

40 – العيوض، سيدي محمد، المرجع السابق، ص 204

41 - Jeane. Deneauve, (1972), «**Céramique et lampes africaines sur les côtes de province**», Antiquité africaine, T. 6, p. 219

42 – عقون، محمد العربي، (2008)، **الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 124.

43 – جوليان، شارل أندري،(1969)، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ج1، تعريب محمد مزالي والبشير بوسلامة، الدار التونسية للنشر، ص 210.

44 -J. Deneauve, Op. Cit, p. 220

45 – بن عبد المؤمن، محمد، (2013)، **مدينة بورتوس ماغنوس –بطيوة– دراسة في تاريخها القديم**، الجزائر، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، ص 85.

46 - A.Berthier, (2000), **Tiddis cité antique de Numidie. Mémoire de l'Académie des inscriptions et Belle Lettres**,T. XX, Paris, diffusion de Bocard, p. p. 453 , 454

47 - شنيتي، محمد البشير، **الجزائر قراءة في جذور التاريخ**، المرجع السابق، ص 98.

48 - العيوض، سيدي محمد، المرجع السابق، ص 202.